

العرفان النظري والعملي

الطالب : مصطفى الحوري

المقدمة

يمتاز العرفان الإسلامي بمجموعة من الخصائص والعناوين التي تميّزه عن غيره من الحركات "العرفانية" التي وُجدت على امتداد الأديان والمذاهب البشرية، ونشير هنا إلى أبرز هذه الخصائص:

١- محورية الله تعالى

٢- الولاية

يعتبر السالك إلى الله في العرفان الإسلامي من أصحاب الولاية، وهذا يعني معرفة الإنسان الكامل والمعصوم وحبّه والالتزام العملي بسيرة أولياء الله تعالى.

٣- العمل بالشرعية

يمتاز العرفان الإسلامي بأنه يتحرك طبقاً للشرعية، أي طبقاً للأحكام الفقهية الإسلامية.

٤- العقلانية

العرفان الإسلامي ليس بعيداً عن العقل والعقلانية. فالعارف لا ينكر دور العقل، بل يضع المعرفة الشهودية والسلوكية في طول المعرفة العقلية

النقطة الثانية : تعريف العرفان النظري والعملي، العرفان النظري، فهو العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته وتجليّاته.

العرفان العملي عبارة عن العلم بطريق السير والسلوك، والمنازل والمقامات التي يجب أن يسلكها العارف للوصول إلى الله تعالى.

-يأتي تساؤل هنا:

ماهو السير والسلوك*؟!

تعريف السير والسلوك

إن الوصول إلى المقصد الأعلى يقتضي اجتياز المنازل والمراحل والمقامات، وهذا ما يسمى، في لسان العرفاء بالسير والسلوك. وقد عرفوا السير والسلوك فقالوا: السلوك هو العلم والبرنامج الذي يُبحث فيه عن كيفية منازل السير نحو القرب الإلهي وخصائصه.

والسلوك بهذا المعنى هو طَيَّ الطريق، أمّا السير كما يعبر صاحب لبّ الباب عبارة عن مشاهدة وخصائص المنازل والمراحل أثناء الطريق

كيف يكون عارفٌ سالك؟

من الشروط التي يجب توافرها ليتمكن العارف من السلوك نحو الحقّ تعالى، وأبرز هذه الشروط:

أ- المناسبة بين الحقّ والخلق.

ب- قمع هوى النفس.

ج- رفع الحجب.

د- الشيخ والمرشد

تفصيل في العرفان النظري :

١- يمكن أن يقال بعد أن عرفنا التعريف بشكل عام (*ماهي الرؤية الكونية العرفانية*؟)

المقصود من الرؤية الكونية العرفانية، النظرية التي يقدمها العرفاء، والتي تفسّر رؤيتهم لله تعالى والعالم والإنسان، بالاعتماد على المعرفة القلبية والشهودية، وكذلك بالاعتماد على المعرفة العقلية الاستدلالية.

وبما أنّ العرفاء يعتقدون بأنّ الوجود لله فقط، وأنّه هو الموجود والوحيد الذي يصح أن يُطلق عليه هذا المفهوم،* فالرؤية الكونية العرفانية تبدأ من مسألة وحدة الوجود*.

لقد بنى العرفاء كافة أفكارهم على نظرية الوحدة الشخصية للوجود واعتبارية الكثرات. وبهذا المعنى يكون وجود الله تعالى هو الوجود والموجود الحقيقي والوحيد وما سواه ليس إلا ظلاً وتجلياً لله تعالى. ثمّ إنّ العرفاء يتحدثون عن بعدين عند حديثهم عن ذات الإله: الأوّل هو كنه الذات التي لا يمكن إدراكها، الخفيّة على كلّ ما سواه، والثاني البعد الظاهر الذي يقبل التجلّي، وهو الذي يمكن معرفته وإدراكه للبشر.

أمّا في ما يتعلّق بإثبات الوحدة الشخصية للوجود، قدّم العرفاء أبحاثهم على نحوين: الأوّل: إثبات الوحدة الشخصية عن طريق الكشف والشهود، والثاني: عن طريق الاستدلال والبرهان العقلي.

الأوّل: هو سيرة أكثر العرفاء الذين يعتقدون بأنّهم وصلوا إلى هذه المرحلة من التوحيد عن طريق الكشف والشهود. وبعبارة أخرى يعتقد العرفاء بأنّ مَنْ نَوّر الله بصيرته يرى أن ليس في الوجود إلا الله، وكلّ ما عدا ذلك فهو سراب وتجلّ

الثاني: أي طريق الاستدلال العقلي، فقد قدّم بعض العرفاء أدلةً برهانية لإثبات أنّ الوجود لا يمكن أن يكون إلا الواجب، وبما أنّ الواجب واحد فالوجود كذلك. طبعاً العرفاء يعتقدون بأنّ الطريق الأوّل لإثبات الوحدة الشخصية للوجود هو الأكثر قدرة على إيجاد اليقين، فهو كافٍ في الإيمان بهذه الرؤية، وأما الطريق الثاني فهو لمن لم يتمكن من الاستفادة من مشاهدات العرفاء، بل هو للذين حصروا معرفتهم بالعقلية فقط.

نظرة العارف إلى الوجود

إنّ كلمة "الوجود" هي أهمّ العبارات عند العرفاء أوضحها على أساس أنّ كافّة نظرياتهم من دون استثناء تتمحور حوله، وهو عندهم الحقّ تعالى. ويوضح العرفاء أنّ الوجود بديهي وواضح بحيث لا يحتاج الإنسان إلى دليل للقبول به، بل هو أمر بديهي مقبول عند كافّة العقول السليمة. ثمّ يبيّنون أنّ هذا الوجود واحد، بمعنى أنّه يطلق على كافّة الأشياء بمعنى واحد.

من جهة أخرى فإنّ كلّ ما سوى الله تعالى ظلّ وتجلّ له، فوجوده وظليّته تابعة لوجود الحقّ تعالى

يتحدّث العرفاء حول أحكام الوجود، وهي على النحو الآتي:

- ١- الوجود بديهي، وليس هناك ما هو أوضح منه، ولا يحتاج إلى دليل لإثباته.
- ٢- ليس للوجود سوى مصداق واحد، هو الحقّ تعالى.
- ٣- إنّ كلّ كمال وخير يعود إلى الوجود، إذ لولاه لما ظهر الكمال والخير.
- ٤- ليس للوجود الواحد مراتب، بعضها قوي وبعضها ضعيف.
- ٥- الوجود مساوٍ للوحدة.
- ٦- الوجود مساوٍ للوجوب.

نظرة العارف إلى العالم

العالم عند العرفاء عبارة عن كلّ ما يعلم به الله تعالى، لأنّ العالم مأخوذ من العلامة، وهي التي بها يعلم الشيء^٥. وبهذا المعنى يصبح كلّ ما هو موجود في العالم من مظاهر وتجليات علامات تدلّ على الله تعالى، فهي عوالم.

يتحدّث العرفاء عن عالمين، الكبير والصغير. والعالم الصغير هو الوجود الإنساني الذي استحقّ الخلافة الإلهية، والعالم الكبير هو الإنسان الكبير، أي الكون. فالكون خلق على شاكلة الإنسان الصغير، لأنّ الصغير خليفة الله والمظهر الأول والتجلي الأكمل. وللعالم في الرؤية العرفانية خصائص، أبرزها:

١- العالم مرآة وآية: إنّ العالم مخلوق للحقّ تعالى، ومنه استمدّ كافة كمالاته، فهو يحكي عن كمالات الحقّ ويدلّ عليها، لذلك كان مرآة لكمالات الحقّ وعلامة تدلّ عليها.

٢- نظام العالم هو الأحسن: بما أنّ العالم ظلّ الله ومظهر أسمائه، وبما أنّ كلّ اسم من الأسماء هو الاسم الأحسن بحكم الأسماء الإلهية الحسنی، فالنظام في العالم هو الأحسن. وإلى هذا يشير ابن عربي عندما يبيّن أنّ الحقّ تعالى إذا كان يشكل هويّة العالم، فأحكام وصفات العالم ليست إلاّ منه تعالى، وعلى هذا الأساس فليس من الممكن وجود عالم أعلى وأجمل منه، لأنّ هذا العالم ظلّ الرحمان.

٣- سريان الحياة والشعور في العالم: يعتقد العرفاء أنّ العالم وكافة أركانه أعمّ من الجماد والنبات والحيوان أو غير ذلك تمتلك حياة وشعوراً. وهذه حقيقة يمكن فهمها

بواسطة الكشف بداية، وبهذا نطقت الآيات الشريفة التي تحدّثت عن تسبيح كافة الموجودات

٢- * العلوم الباطنية لا تتحصل إلا بعد الحصول على العلوم الظاهرية:

- العلوم الظاهرية هي :

علم الكلام (العقائد) ، علم الفقه، علم أصول الفقه، علم الحديث، علم التفسير، علم الفلسفة.

- شرح مصباح الأنس لابن فنارة ص :

" وعلوم الباطن إنما تتحقق بعد إحكام أحكام الظاهر، لكن على طريقة السلف الصالح التي سيشار إليها، وهي أن حقيقة أكثرها وهبية تتلقى من الكمل لا كسبية "

- الأربعون حديثاً للإمام الخميني ص ٣٤ - في العزم :

" وأعلم... أن طي أي طريق في المعارف الإلهية، لا يمكن إلاّ بالبدء بظاهر الشريعة، وما لم يتأدب الإنسان بأداب الشريعة الحقة، لا يحصل له شيء من حقيقة الأخلاق الحسنة، كما لا يمكن أن يتجلى في قلبه نور المعرفة وتتكشف له العلوم الباطنية وأسرار الشريعة. وبعد انكشاف الحقيقة، وظهور أنوار المعارف في قلبه لا بد من الاستمرار في التأدب بالأداب الشرعية الظاهرية أيضاً.

ومن هنا نعرف بطلان دعوى من يقول: (إنّ الوصول إلى العلم الباطن يكون بترك العلم الظاهر)، أو (لا حاجة إلى الآداب الظاهرية بعد الوصول إلى العلم الباطن). وأن هذه الدعوى ترجع إلى جهل من يقول بها، وجهله بمقامات العبادة ودرجات الإنسانية. "

٣- و اما المنازل و المقامات: من المعلوم ان هدف العارف هو معرفة الله فقط، و ان معرفة الله تعالي تعني معرفة كل شيء، و كل شيء ينطوي تحت هذه المعرفة و بما ان بحث المنازل و المقامات من البحوث الواسعة و المعمقة، لذلك سوف ننقل هنا ما ذكره الشهيد المطهري نقلاً عن كتاب الاشارات لابن سينا حيث قال:

المعرض عن متاع الدنيا و طيباتها يخص باسم الزاهد، و المواظب علي فعل العبادات من القيام و الصيام و نحوهما يخص باسم العابد، و المتصرف بفكره الي قدس الجبروت مستديماً لشروق نور الحق في سره يخص باسم العارف، و قد يتركب بعض هذه مع بعض.

إذاً العارف هو الذي يصرف ذهنه عما سوي الله تعالي و يتوجه بالكامل الي ذات الحق تعالي يشع نور الحق في قلبه.

ثم ان العبادة عند العارف رياضة لهممه و قوي نفسه المتوهمة و المتخيلة ليجرها بالتعويد عن جناب الغرور الي جانب الحق. كما ان هدف العارف يريد الحق الأول لا لشيء غيره و لا يؤثر شيئاً علي عرفانه و تعبده له فقط لانه مستحق للعبادة ولانها نسبة شريفة اليه لا لرغبة او رهبة، ثم يقول ابن سينا:

المنزل الاول: اول درجات حركات العارفين ما يسمونه هم الارادة و يعرف بعضهم الارادة بانها (جمرة من نار المحبة في القلب المقتضية لأجابة دواعي الحقيقة) ثم بعد الارادة الرياضة.

ثم اذا بلغت به الارادة و الرياضة حداً ما عنت له خلصات من اطلاع نور الحق عليه
لذیذة كأنها بروق تومض اليه ثم تخدم عنه و هو المسمي عندهم "أوقاتاً" ... فيكاد يري
الحق في كل شيء

فاذا عبر الرياضة الي النيل صار سره مرآة مجلوة محاذياً بها ننظر الحق ثم انه ليغيب عن
نفسه فيلحظ جناب القدس فقط. و ان لحظ نفسه فمن حيث هي لحظة لا من حيث
هي بتريقتها، و هناك يحق الوصول.

إذا المنازل هي: الارادة، الرياضة، الوصول.

* النقطة الرابعة :

روايات في العرفان العملي:

١. بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٢٧ || مجلد ٢٧ ص ٧٧

"ورد في حديث المعراج: (قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: يا ربّ، ما أوّل العبادّة؟
قال: أوّل العبادّة الصمت والصوم. قال: يا ربّ وما ميراث الصوم؟ قال: الصوم يُورث
الحكمة، والحكمة تُورث المعرفة، والمعرفة تورث اليقين، فإذا استيقن العبد لا يبالي
كيف أصبح: بعسر، أم يُيسر)."

٢. نهج البلاغة - خطبة ٢٢ في وصف السالك:

"قال عليه السلام: (قد أحيا عقله، وأمات نفسه، حتى دق جليله، ولطف غليظه، وبرق له
لامع كثير البرق، فأبان له الطريق، وسلك به السبيل، وتدافعت الأبواب إلى باب السلامة
ودار الإقامة، وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه، وأرضى
ربه"

٣. نهج البلاغة - خطبة ٨٧

"عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشَعَرَ الْحُزْنَ وَتَجَلَّبَبَ الْخَوْفَ فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ وَأَعَدَّ الْقِرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبُعِيدَ وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ نَظَرَ فَأَبْصَرَ وَذَكَرَ فَاسْتَكْتَرَّ وَازْتَوَى مِنْ عَذَابِ فُرَاتٍ سَهَّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ فَشَرِبَ نَهْلًا وَسَلَكَ سَبِيلًا جَدَدًا قَدْ خَلَعَ سَرَائِلَ الشَّهَوَاتِ وَتَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ إِلَّا هَمًّا وَاحِدًا انْفَرَدَ بِهِ فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى وَمَغَالِقِ أَبْوَابِ الرَّدَى قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ وَسَلَكَ سَبِيلَهُ وَعَرَفَ مَنَارَهُ وَقَطَعَ غِمَارَهُ وَاسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثِقِهَا وَمِنَ الْجِبَالِ بِأَمْتِنِهَا فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ مِصْبَاحِ ظُلُمَاتٍ كَشَافٍ عَشَوَاتٍ مِفْتَاحٍ مُبْهِمَاتٍ دَفَاعٍ مُعْضَلَاتٍ دَلِيلٍ فَلَوَاتٍ يَقُولُ فَيُنْفِهُمُ وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ قَدْ أَلَزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ لَا يَدْعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا وَلَا مَظْنَّةً إِلَّا قَصَدَهَا قَدْ أَمَكَّنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقُلَهُ وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ ."

ختامًا:

هذا مقالٌ مقتضبٌ ، بالتصرف ببعض كلام العلماء والعرفاء وإستخلاص نتائجهم وذكر

أهم ما جاء به والله الموفق والمؤيد